

ب - أحمد شوقي

أعماله

الشوقيات أربعة أجزاء صدر الجزء الأول منها بمقدمة بقلم الشاعر

سنة ١٩٠٠

المسرح الشعري :

على بك الكبير

قمبيز

مجنون ليلى

مصراع كليوباترة

أميرة الأندلس

الست هدى

البخيلة

الرواية :

دل ويطمان

ورقة الآس

لاديسياس

عذراء الهند

النثر الفني :

شيطان بنتاعور

أسواق الذهب

أيها النيل

إلى الأستاذ مرجليوث مدرس اللغة العربية فى جامعة اكسفورد

أيها الأستاذ الكريم

تذكرت * أئينا * مدينة الحكمة فى الدفور الخالية . وأياماً غنمناها على
رسومها العافية وأطلالها البالية . فكأنى أنظر إلى المؤتمر علمائه الهالة وأنت
القمير . أو زمر الحجيج وأنت حادى الزمر . وأرى الملوك فى الحقر . بنيانهم مصدوع
الجدر . وبيانهم نور البشر . نزلنا بهم فاذا الدول خبر . وإذا الممالك أثر . والظلول
شغل الفؤاد والبصر . منا الغبرات ومنها العبر . صمت الإنسان ونطق الحجر .
فسبحان العزيز المقدر . القاهر فوق عباده بالقدر . كان ذلك والحوادث أجنة .
والأمور فى أحسن الأئنة . والأرض بالسلم مطمئنة . متغبطة بسلامة الشباب .
منبسطة بتلقى الأحباب . والصفوف فى الدار والأقدار بالباب . ثم أخذ الله الأمم
بذنوبهم فرماهم يعوان فى الماء . ضروس فى الأرض والسماء . منهومة بالأموال
مدمنة للدماء . نزلت بالبرية فعصفت بأحسن شبابها ونباتها . ونقصت موقور أمنها
وأقواتها . وهتكت فى الثرى مصون رقاتها . وخلطت فى الخنادق أحياءها بأمواتها
وعدت على الوحش فى فلواتها . وعلى الطير فى وكناها . وعلى الرياح فى
مخترقاتها . وعلى علم البحار وأحواتها . وهوام القفار وحشراتها . وعلى بيوت الله
فى ستراتها . والنواقيس فى قبابها . والمآذن فى سماواتها . فسبحان الملك الأكبر .
الذى يقهر ولا يقهر . ويغير ولا يتغير . والذى يقيم القيامة فى ميقاتها .

الشعر كالأحلام تدخل على المسرور الكرى . وتكثر على المحزون فى السرى .
وقريحة الشاعر كعين صاحب الأيام عندها للحنن عبرة وللسرور عبرة . وهذه أيها
الأستاذ الكريم كلمة قيلت والهوم سارية . والأقدار بالخاوف جارية . والدماء
والدموع متبارية . وذئاب البشر يقتتلون على الفانية . نظمها تغنياً بمحاسن الماضى
وتقنيناً لماثر الآباء . وقضاء لحق النيل * الأسعد الأمد ونسيتها إليك عرفاناً

لفضلك على لغة العرب وما أنفقت من شباب وكهولة في إحياء علومها ونشر آدابها
 وإلقائها كلما طلعت الشمس خلف الضباب دروساً نافعة على أنبل شباب العصر ،
 في أعظم جامعات العالم ، فلعلها تقع إليك فنتذاكر على النوى تلك الأيام ، وبتنادم
 من بعد على بساط الأدب والكلام ، ونسال الله أن يحقن الدماء ويقيم جدار السلام .

ويأى كف في المدائن تُفدق
 عليا الجنان جداولاً تترقق
 أم أي طرفان تفيض وتفهب
 للضفتين جديدها لا يخلق
 فإذا حضرت أخضوضر الاستبرق
 عجباً وأنت الصايغ المتائق
 وحياضك الشُّرُق الشهية ذُفَّق
 بالواردين ولا خوانك ينفق
 والأرض تفرقها فيحيا المغرق
 متخبط في علمها ومحقق
 بك حماة كالمسك لا تتروق
 بيضاء في عنق الثرى تتالق
 لم لا يؤله من يقوت ويرزق
 لسواك مرتبة الألوهة تخلق
 إن العبادة خشية وتعلق
 عذب المشارع مده لا يلحق
 يجرى على سنن الوفاء ويصدق
 من راحتك عميمة تتدفق
 يعرى ويصبغ في تذاك فيورق
 ويعمه ماء الحياة الموسق
 ماجئف أو مامات أو ماينفق

من أي عهد في القرى تتدفق
 ومن السماء نزلت أم فُجِّرَت من
 ويأى عين أم بأية منزلة
 ويأى نولٍ أنت ناسج برودة
 تسود ديباجاً إذا فارقتها
 فسى كل أونة تبديل صبغة
 أنت الدهور عليك مهدك مترع
 تسقى وتطعم لا إناؤك ضائق
 والماء تسكبه فيسبك عسجداً
 تعبي منابك العقول ويستوى
 أخلقت راووق الدهور ولم تسزل
 حمراء في الأحواض إلا أنها
 دين الأوائل فيك دين مروعة
 لو أن مخلوقاً يؤلِّه لم تكن
 جعلوا الهوى لك والوقار عبادة
 دانوا ببحر بالكارم زاخر
 متقيد بعهوره ووعوده
 يتقبل الوادي الحياة كريمة
 متقلب الجنبين في نعمائه
 فيبيت خصباً في ثراه ونعمة
 وإليك بعد الله يرجع تصته

(عيسى) و(يوسف) و(الكليم) المصعق
أفضى إليه الأنبياء ليستقوا
فالشمس أصلهمو الوضى المعرق
عهد على أن لا مساس وموثق
كحجابهم فوق الثرى لا يخرق
حجب مكثفة وسرم مقلق
دون الخلود سعادة تتحقق
خبرياً غراب البين فيها ينعق
وقبورهم صرح أشم وجوسق
عمداً فكانت حائطاً لا ينتق
دنيا وما لم يبد ، أخرى تصدق
ستور على السر الخفى وخذق
بين المحلة والمخلة فندق
رحب بهم بين الكهوف المطبق

بين الثريا والثرى تنتسق
كالطود مضطجع أشم منطبق
تتقادم الأرض الغضاء وتعتق
تعب وجه الأرض عنه ضيق
ما يعتلى منه وما يتسلق
والفرع في حزم السماء محلق
يبيض وجه الظلم منه ويشرق
فخراً لهم يبتقى وذكرأ يعبق
قاص يحجمها ودان يرمق
في كل ناحية بخور يحرق
مسترديات الذل لا تتفندق
(بلقيس) تقبس من حلاه وتسرق

أين الفراغة الأولى استذرى بهم
الموردون الناس منهل حكمة
الزافعون إلى الضحى أباعهم
وكانما بين البلى وقبورهم
فحجابهم تحت الثرى من هيبة
بلغوا الحقيقة من حياة علمها
وتبينوا معنى الوجود فلم يروا
بينون للدنيا كما تبني لهم
فقصورهم كوخ وبيت بدواة
رفعوا لها من جنبد وصفائح
تتشايح الداران فيه فما بدا
للموت سر تحته وجداره
وكان منزلهم بأعماق الثرى
موفورة تحت الثرى أزوادهم

ولن היאكل قد علا البانى بها
منها المشيد كالبروج وبعضها
جند كؤل عهدا وحيا لها
من كل ثقل ، كاهل الدنيا به
عال على باع البلى لا يهتدى
متمكن كالطود أصلا فى الثرى
هى من بناء الظلم إلا أنه
لم يرهق إلا هم الملوك بمثلها
فتنت بشطريك العباد قلم يزل
وتضوعت مسك الدهور كأنما
وتقابلت فيها على السرر الدنى
غطلت وكان مكانهن من العلى

يزكويهن سوى العبير ويلبّق
 مهتوكة بيد البلى تتخرق
 والحسن باق والشباب الريق
 أن الفرانيق العلى لا تنطق
 فاذا الضحى لك حصّة والرونق
 ماتحسر الأبصار فيه وتبرق
 (بغداد) فى ظل (الرشيد) و (جلق)
 يوم القبور أو الزفاف المونق
 يُجلى كما تجلى النجوم وينسبِق
 كالسحب قرن الشمس منها مفتق
 للشمس فى الأفاق عان مطرق
 وأنته بالفتح السعيد الفيالق
 نعل لفرعون العظيم وتمرق
 يأبى فيضرب أو يمن فيعتق
 عنراء تشربها القلوب وتعلق
 والحظ إن بلغ النهاية مويق
 كالشيخ ينعم بالفتاة وتزهمق
 ثمن إليك وحرة لا تُصدق
 سبقت إليك متبى يحول فتلق
 يُبغى كما يبغى الجمال ويعشق
 ومن العقائد ما يلب ويحمق
 فى كل دين بالهداية تلصق
 دين ويدفعها سوى وتشوق
 ترب تمسح بالعرس وتحقق
 بالشاطئين مزغرد ومصفق
 أعطافها واختال فيه المشرق
 يجرى بهن على السفين الزورق

وعلا عليهن التراب ولم يكن
 حجراتها موطوءة وستورها
 أودى بزينتها الزمان وحليها
 لو ردّ فرعون الغداة لراعته
 خلع الزمان على الورى أيامه
 لك من مواسمه ومن أعياده
 لا (الفرس) أوتوا مثله يوماً ولا
 فتح الممالك أو قيام (العجل) أو
 كم موكب تتخايل الدنيا به
 (فرعون) فيه من الكتائب مقبل
 تعنوا لعزته الوجوه ووجهه
 آبت من السفر البعيد جنوده
 ومشى الملوك مصفدين ، خنودهم
 مملوكة أعناقهم ليميته
 ونجبية بين الطفولة والصبا
 كان الزفاف اليك غاية حظها
 لاقيت أعراساً ولاقت مائماً
 فى كل عيام درة تلقى بلا
 حول تسائل فيه كل نجبية
 والمجد عند الغائيات رغبية
 إن زوجوك بهن فهى عقيدة
 ما أجمل الإيمان لولا ضيلة
 زقت إلى ملك الملوك يحثها
 وإربما حسدت عليك مكانها
 مجلوة فى الفلك يحوقلكها
 فى مهرجان هزت الدنيا به
 فرعون تحت لوائه ، وبناته

وجرى لغايته القضاء الأسبق
 سيف المنية وهو صلت يبرق
 وأنشال بالوادي الجموع وجدقوا
 وأنتك شيقة حواها شيق
 أعز من هذين شيء ينبق
 فالروح في باب الضحية أليق
 أنزية فيه تضىء وتنفسق
 ينذى بما حملت اليه ويبثق
 وإلى حماها النقص لا يتطرق
 وتنال مما في السماء وتعلق
 أبداً نعود لها ومنها نخلق
 منها فيخرج ذا وهذا يخلق
 وتمد بيت النمل فهو مروق
 لا تستقر نوائلا لا تمحق
 في الكائنات وسره المستخلق
 طلعت على الدنيا وساعة تخفق
 والفيل مميا صبور والخرنق
 من كل شيء ما يروع ويخرق
 من ذا يميز في الظلام ويفرق
 من يستغل الأرض أو من يعزق
 تمشى وتلتفت المهاة وترشق
 وضج عليه من الأهلة أشرق
 والورد موطىء خفه والزنبق
 يؤتى به حوض الخلود فيغرق
 حذروا من الدنيا عليه وأشفقوا
 والشعيب ما يعتاد أو يتخلق
 فلأول الندى جلاله وتأبقوا

حتى إذا بلغت مواكبها المدى
 وكسا سماء المهرجان جلاله
 وتلفتت في اليم كل سفينة
 ألقت إليك بنفسها ونفيسها
 خلعت عليك حياها وحياتها
 وإذا تنعاهى الحب وأتفق الفدى
 ما العالم السفلى إلا طينة
 هي فيه للخصب العميم خميرة
 ما كان فيها للزيادة موضع
 منبثة في الأرض تنتظم الثرى
 منها الحياة لنا ومنها ضدها
 والنزرع سنبله يصيب وجبه
 وتشد بيت النحل فهو مطب
 وتظل بين قوى الحياة جوائلا
 هي كلمة الله القدير وروحه
 في النجم والقمرين مظهرها إذا
 والذرع والصخرات مما كسورت
 فتنت عقول الأولين فآلهوا
 سجدوا لمخلوق وظنوا خالقاً
 دانست (بأبيس) الرعية كلها
 جاعوا من المرعى به يمشي كما
 داج كجنع الليل زان جبينه
 العسجد الوهاج وشي جلاله
 ومن العجائب بعد طول عبادة
 يأليت شعري هل أضاعوا العهد أم
 قوم وقار الدين في أخلاقهم
 يدعون خلف الستر آلهة لهم

وأستحجبوا الكهان ، هذا مبلغ
لا يسألون إذا جرت الفاظهم
أو كيف تخترق الغيوب بهيمة
وإذا همو حجوا القبور حسبتهم
يأتون (طيبة) بالهدى أمامهم
فالبر مشهود الرواحل محدج
حتى إذا القوا بهيكلها العصا
وجرت زوارق بالحجيج كأنها
من شاطيء فيه الحياة لشاطيء
غربوا غروب الشمس فيه وأستوى
حيث القبور على القضاء كأنها
للحق فيه جولة وله سناً
نزلوا بها فمشى الملوك كرامة
ضاققت بهم عرصاتها فكأنما
وتنادم الأحياء والموتى بها

أصل الحضارة في صعيدك ثابت
ولدت فكنت المهد ثم ترعرعت
ملأت ديارك حكمة ، ماثورها
وينت بيوت العلم باذخة الذرى
واستحدثت ديناً فكان فضائلا
مهد السبيل لكل دين بعده
يدعو إلى بر ويرفع صالحاً
للناس من أسرارها ما علموا
فيه محل للأقانيم العلى
تابوت موسى لا تزال جلاله
وجمال يوسف لا يزال لواقه

مايهتفون به وذاك مصدق
من أين للحجر اللسان الأذلق
فيما ينوب من الأمور ويطلق
وقد (العتيق) بهم ترامى الأينق
يفشى المدائن والقرى ويطبق
والبحر ممدود الشراع موسق
وقواً النذور وقربوا وأصدقوا
رقط تدافع أو سهام تمرق
هو مضجع للسابقين ومرفق
شاه ورخ في التراب ويبدق
قطع السحاب أو السراب الديقق
كالصبح من جنباتها يتفلق
وجثا المدل بماله والمملىق
ردت ودائعها الفلاة الفيهق
فكانتهم في الدهر لم يتفروا

وبناتها حسن عليك مخلق
فأظلمها منك الحفى المشفق
في الصخر والبردى الكريم منبق
يسعى لهن مغرب ومشرق
وبناء أخلاق يطول ويشفق
كالمسك رياه بأخرى تفتق
ويعاف ما هو للمرؤة مخلق
وأشعبه الكهنوت ما هو أعمق
ولجامع التوحيد فيه تعلق
تبدو عليك له ورياً تنتشق
حوالك فى أفق الجلال يرتق

مسطورهن بشاطئيك منمق
 يزكو لذكراها التبات ويسمق
 بركات ريك والتعيم الغيدق
 ولواؤه وبيانه والمنطق
 والحق ما يحيى العقول ويفتق
 فيه ومن (أصحاب بدر) رزاق
 والله من حول البناء موفق
 فى السلم من حذر الحوادث مقلق
 جيش من الأخلاق غاز مورق
 سيف الكرى من الجهالة يفرق
 إلا العفيف حسامه المترفق
 يأوى الضعيف لركنه والمرق
 ويبيت "قيصر" وهو منه مؤرق
 بقلادة الله العلى مطوق
 (موسى) ويسأل فيه عيسى البطرق
 ويمدحه (التوراة) أحرى وأخلق
 كنف على مر الدهور مرهق
 خلق يودعه وخلق يطررق
 خود عرائس خدرهن المهرق
 والطيب فى حيزاتهن مرقرق
 أملاه حب ليس فيه تملق
 سنطير عنها وهى عندك ترزق
 وتكاد فيه بغير عرق تخفق
 منا ومنك بهم أبر وأزرق
 أنت الوفى إذا أوتئنت الأصدق
 وقيامه "الوادى" غداة تحلق

ودموع إخوته رسائل توية
 وصلاة مريم فوق زرعك لم يزل
 وخطى المسيح عليك روحاً طاهراً
 وودائع (الفاروق) عندك دينه
 بعث الصحابة يحملون من الهدى
 فتح الفتوح من الملائك رزق
 بينون لله الكنانة بالقنا
 أحلاس خيل بيد أن حسامهم
 تطوى البلاد لهم وينجد جيشهم
 فى الحق سل وفيه أعمد سيفهم
 والفتح بغى لا يهزون وقعه
 ما كانت "الفسطاط" إلا حائطاً
 وبه تلوذ الطير فى طلب الكرى
 "عمرو" على شطب الخصير معصب
 يدعو له "الحاخام" فى صلواته
 يانيل أنت بطيب مانعت "الهدى"
 وإليك يهدى الحمد خلق حازم
 كنف "كمن" أو كساحة "حاتم"
 وعليك تجلى من مصونات النهى
 الدر فى لباتهن منظم
 لى فيك مدح ليس فيه تكلف
 مما يحملنا الهوى لك أفرخ
 تهفو اليهم فى التراب قلوبنا
 ترجى لهم ، والله جل جلاله
 فاحفظ ودائعك التى استودعتها
 للأرض يوم والسماء قيامة

وقال :

فذقت الهوى من بعدما كنت خاليا
وبالسحر مقضياً وبالسيف قاضيا
فأحبيب به ثوباً وإن ضم باليا
وإن أكلتروا أوصافه والمعانيا
وإن نوعوا أسبابه والدواعيا
إذا سألوني ما الهوى قلت ما بيا
فغادرنى أشتاق دنياى نائيا
ومن يهوى لا يؤثر على الحب غالبيا
كهذى التى يجرى بها الدمع واشيا
برغم فؤادى سائر بفؤاديا
كفى بالهوى كأساً وراحا وساقيا
من الظلم أن يغدولنارين صالحيا
فرفقاً من طعنة البسين داميا

مقادير من جفنيك حوان حاليا
نفذن على اللب بالسهم مرسلا
والبسنتى ثوب الضنى فلبسته
وما الحب إلا طاعة وتجاوز
وما هو إلا العين بالعين تلتقى
وعندى الهوى موصوفه لا صفاته
وبى رشاً قد كان دنياى حاضرا
سمحت بروحى فى هواه رخيصة
ولم تجر ألفاظ الوشاة بريئة
أقول لمن ودعت والركب سائر
أماناً لقلبي من جفونك فى الهوى
ولا تجعليه بين خديك والنوى
ولم يندمل من طعنة القد جرحه

وقال

ويكاه ورجم عوده
مقروح الجفن مسهده
يبقيه عليك وتتفده
ويذيب الصخر تنهده
ويقيم الليل ويقعده
شجنأ فى البوح تردده
وتأدب لا يتصيده

مضناك جفاه مرقدده
حيران القلب معذبه
أودى حرقاً إلا رمقاً
يستهوى الورق تأوه
ويتأجى النجم ويتعبه
ويعلم كل مطوقة
كم مد لطيفك من شرك

فمساك بغمض مسعفه
الحسن حلفت بيوسفه
قد ود جمالك أو قبساً
وتمنت كل مقطعة
جحدت عينك زكى دمي
قد عز شهودي إذ رمنا
وهمت بجيدك أشركه
وهرزت قوامك أعطفه
سبب لرضاك أمهده
بينى فى الحب وبينك ما
ما بال العاذل يفتح لى
ويقول تكاد تجن به
مولاي وروحي فى يده
ناقوس القلب يدق له
قسماً بثنايا ، لؤلؤها
ورضاب يوعد كوشره
ويخال كاد يحج له
وقوام يروى الغصن له
ويخصر أو هن من جلدى
ماخنت هواك ولا خطررت

واعل خيالك مسعده
و(السورة) إنك مفردة
حوراء الخلد وأمرده
يدها لو تبعث تشهده
أكذلك خدك يجحده
فأشورت لخدك أشهده
فأبى واستكبر أصيده
فنبأ وتمنع أملده
مابال الخضر يعقده
لا يقدر واش يقسده
باب السلوان وأوصده
فأقول وأوشك أعبيده
قد ضيعها سلمت يده
وحنايا الأضلع معبده
قسم الياقوت منضده
مقتول العشق ومشهده
لو كان يقبل أسوده
نسباً والرمح يفتده
وعوادي الهجر تبده
سلوى بالقلب تبرده

تجربة نقدية ٢ :

أيها النيل .. رحلة فى تاريخ النيل . مضمونية معنوية دلالية بليغة . تبدأ بحديث حول النيل والعطاء والمكانة المقدسة لدى قدماء المصريين كمحور أول . ثم ينتقل إلى الفراغة مجدهم وتاريخهم كمحور ثان . ومنه إلى معابدهم وأثارهم وأهراماتهم كمحور ثالث . ثم يبدأ من البيت الثالث والخمسين حديث الأعياد والأيام . كمحور رابع . وينتقل منه إلى حديث الحياة الآخرة والطمى كمحور خامس فى البيت الحادى والثمانين . ثم يبدأ فى الحديث عن الأديان منذ البيت الثانى والتسعين كمحور سادس . وينتقل إلى الحضارة كمحور سابع فى البيت السابع عشر بعد المائة . ويحتوى على الأديان السماوية موسى وعيسى ومحمد حتى تنتهى القصيدة . فى مائة وثلاثة وخمسين بيتاً .

هنا نحن مع قصيدة "معرفية" تتكئ على أحداث التاريخ .. ولها سابقات منها "كبار الحوادث فى وادى النيل" . ونحن مع شاعر على بينة بالتاريخ القديم وله فيه تجارب شعرية وأخرى مسرحية .. فمن المسرحية قميبيز وعلى بك الكبير ومصرع كليوباتره وأميرة الأندلس وعنترة . ويبقى له الإجتماعتان الست هدى والبخيلة .. وعلى هذا نحس باثر المعرفة التاريخية الموثقة فى معارفه .

يتميز شوقى بدءاً بأنه يسير خطوة أكثر تقدماً من البارودى فيما يتعلق "بالكلاسيكية" يبدأ بتساؤلات : من أى عهد ؟.. وبأى كف ؟.. ومن السماء نزلت ؟.. وبأى عين ؟.. أم أى طوفان ؟.. وبأى نول ؟.. وهذا استفهام تعجيبى خرج عن معناه الحقيقى إلى معنى آخر مجازى يفيد التعجب من كافة المسؤلات .. وهذا الأسلوب متكرر كثيراً فى القصيدة فى الأبيات : العاشر والثانى والعشرين والسادس والثلاثين والسادس والخمسين والثالث بعد المائة . والرابع بعد المائة .

وقضلاً عن أسلوب الاستفهام التعجبي . فهناك أسلوب الشرط المتناثر :
البيت الرابع عشر . الثامن والستين . الخامس والسبعين . والثمانين . والخامس بعد
المائة . الثامن بعد المائة .

بالإضافة إلى أساليب كثيرة أخرى . الاستعارية والمجازية والتشبيهات
البسيطة والبليغة .. والمقابلة والمطابقة وأنواع متفرقة من أساليب البديع .

مزنة هامة تميز أحمد شوقي في هذه القصيدة أنه مدقق في الوصف ربما
لدقة معارفه التاريخية واللغوية والعربية .

محاور البناء المضموني :

محور أول : ضفاف النيل : يقع هذا المحور في واحد وعشرين بيتاً يتناول
عدداً من العناصر المتصلة بمنابع النيل .. وتحول الضفتين إلى اخضرار ، وخيره
الذي يفيض على الجانبين . والطمى . والمكانة بين المخلوقين حوله . ومبررات تأليفه .
وفي المحور نجد دائرة مفردات طبيعية تتسق مع المضمون .

القرى - المدائن - السماء - الجداول - عين - مزنة - طوفان - الضفتين -
لخضوضر - صيغة - حياضك - تسقى - الواردين - الماء - الأرض - المفرق -
متابيك - الأحواض - الثرى - بحر - عذب المشارع - الوادى - يورق - خصبا -
ثراه - ماء الحياة .

وهذه المفردات تشكل دائرة الطبيعة .

على أننا نلاحظ دائرة أخرى تدخل في محور فرعى آخر هو "النسيج" :
نول - ناسج - بردة - ديباجاً - الاستبرق - صيغة - عسجداً .

وهناك دائرة العبادة :

السماء - الجنان - العقول - علمها - محقق - خلقت - دين الأوائل - دين مروءة - يؤله - مخلوقاً - يؤله - الألوهة - تخلق - عبادة - العبادة - خشية - الله .

والدوائر اللغوية تشي بحركة التفكير والتأثيرات الموروثة والمستحدثة . هذا فضلاً عن طبيعة المعجم اللغوى . والمتغير الدلالى له .

محور ثان : فى المقطوعة الثانية (الفراغة) . نقف على عدد من الأفكار تكشف عنها أيضاً دوائر المعنى من خلال المنظور اللغوى الدلالى :

دائرة الحياة والموت : البلى - قبور - الثرى - حياة - حجب - سر - الوجود - الخلود - الدينا - خرباً - البين - قبورهم - عمدأ - الداران - دنيا - أخرى - الموت - أعماق - الثرى - الكهوف .

وهذه دائرة مسيطرة حتى تبنى بقية المفردات فى المقطوعة موظفة لها ، لاستقلال بذاتها . كى تكون دائرة أخرى . وكما تلاحظ فإن أكثرية المفردات تدور فى فلك لغوى دلالى واحد . مقصود لذاته حيث أن الفكرة هى أكثر الأفكار تردداً فيما يتعلق بالعبادة الفرعونية . وربما نجد لدى شوقى إدراكاً لحقيقة هامة فيما يتعلق بالفراغة وهى حقيقة اهتمامهم بالمقابر والمعابد دون المنازل والقصور . وهذا يعطى دلالة هامة عن درجة الإهتمام الكبير بالحياة الآخرة .. والتي يظن العامة من المثقفين خطأ أن دفن بعض حاجيات المتوفى معه دليل على الإيمان بالبعث والعودة للحياة فلا بد من وجود حاجياته الخاصة كى يستعملها وقتها وهذا تصور ساذج فلا أظن أنهم يضعون بعض الشعير والقمح والجن القريش والخبز لهذا الغرض ولا أظنهم من السذاجة بحيث يتصورون أن هذه الأشياء ستبعث معهم "طازجة" كى تستخدم فى الطعام .. حتى لو كان بعثهم يتم فى فترة قصيرة .. وإن هو إلا تقليد أن يدفن مع الميت حاجاته وأشياؤه الخاصة .. ولا زالت هذه العادة قائمة لدى شعوب كثيرة حتى الآن (فقصورهم كوخ وبيت بداوة) وهذا فى مقابل (وقبورهم صرح أشم وجوسق) .

محور ثالث : وفي المقطوعة الثالثة (الهيكل) . والتي تبدأ مع البيت رقم ٢٦ حيث تستغرق المقطوعة الأولى واحداً وعشرين بيتاً ، وتستغرق الثانية أربعة عشر بيتاً . بينما تستغرق المقطوعة الثالثة سبعة عشر بيتاً . دائرتها المحور : دائرة الهيكل :

هيكل - الباني - الثريا - الثرى - البروج - الطود - مسيد - أشم -
تتقدم - ثقل - عال - الطود - بناء - السرر - الدمى - حجراتها - ستورها -
البلى -

وهذه مفردات لم يفرق الشاعر في وصف أرجاء الهياكل المختلفة ، الأهرامات وأبى الهول والمعابد المختلفة على الرغم من معرفته بأثار الأقصر ونحوها .

والمحاور الثلاث السابقة تشي بعناصر ترتيب فكري غير مسبوق وحسن تخلص من محور إلى آخر .. وهو تخلص من مضمون وتخلص من شكل لغوي ينتقل بعده إلى مضمون جديد ومعجم مغاير يلائم حركة التطور المضموني المتناسق مع التابع المختلف للعناصر الفكرية البنائية .

ومنذ المحور الرابع : المواسم والأعياد : فتح الممالك - قيام العجل - يوم القبور - الزفاف الموتق .

ونحن نشعر بانسيابية الطبع دون الصنعة التي بدت مسيطرة خاصة في المحور الأول - وكان مضمون وشكل النص يبدأ في التشابك بعد مرحلة من التحوار والجدل . ربما يشترك فيها الملقى كطرف بدليل كثير من المآخذ الشكلية والمضمونية في المحور الأول تبدأ حديثها في الخفوت بعد برهة من التجريب وانسياب المعاني في المحاور التالية . وهو ما نلاحظه في هذا المحور بالذات الذي يبدو فيه شوقي أكثر تألقاً مع نفسه ، ومع تجربته الشعرية والوجدانية .

وهو محور ينتقل من صفات النيل وقراعتها وهياكله إلى مواسمه وأعياده ..
وفي مقدمته داخل المحور المكونة من تسعة أبيات (من الثالث والخمسين حتى الحادى
والستين) نقف على عدد من المفردات :

مواسم . أعياد . تبرق . يوما . موكب . تتخايل . يجلى . النجوم . الأفاق .

وهى دائرة لغوية تختلط بأحد الأعياد وهو المذكور أولاً فتح الممالك - الذى
نعثر فيه على دائرة لغوية :

فتح - الممالك - موكب - فرعون - الكتابب - قرن - السفر - جنوده -
الفيلق - الملوك - مصفدين - نعل - مملوكة - يعتق - يضرب .

ومع ضرورة التناسق بين الدوائر اللغوية فى المحور الواحد . إلا أننا مع
التداخل الحادث وهو التداخل المؤدى لعلاقات التناسق المختلفة فى المحور المؤدية
إلى علاقات تناسق فى النص كله . إلا أننا نلاحظ أحياناً نوعاً من التنافر الجزئى
بين الوحدات اللغوية منذ البدايات الدائرية الأولى حتى التكوين النسقى الكلى . ولا
تبدو هذه الفكرة واضحة إلا فى مجال التطبيق .

وفى المحور الخامس : المتمركز فى مضمون الأبيات منذ الثانى والستين
حتى الثمانين . نقف عند واحد من أكثر مقطوعات شوقى رونقاً ودلالة إيجابية
متوافقة الصور والاستخدامات اللفظية المعجمية والدلالية للمفرد .

ونجيبه بين الطفولة والصباب تسعة عشر بيتاً متماسكة الصور والمعانى
لايسهل تلخيصها أو البحث وراء المحاور المضمونية فيها . أو الوقوف عند بعض
أجزائها دون بعض . فكل بيت وكل مقطع يحمل دلالة مضمونية تمزج بين الحدث
الأسطورى يوم الزمان وبين الحكمة . بعد أن اختار من المواسم والأعياد فتح
الممالك والزفاف الموتق ثم يوم القبر الذى سيأتى بعد .

والدائرة اللغوية المسيطرة تبدو في المفردات :

نجبية - طفولة - صبا - عزاء - الزفاف - الحظ - أعراسا - درة - حرة -
 - تصدق - الغانيات - الجمال - يعشق - زوجوك - زفت - هوى - تشوق - ترب -
 العروس - مجلوة - مزغرد - مصفق - مهرجان - اعطافها - اختال - بناته -
 نفسها - نفيسها - شنيقة - شيق - خلعت - حياء - حياة .

ولقد تنوعت طرائق التعبير ووسائله .. فالآليات الأولية في المقطوعة تقريرية تشي بمصداقية الحدث عند الشاعر أو هو لا يريد أن يسأل .. لاتعجباً ولا استفهاماً وكأنه لا يريد لأدنى شك أن يتسرب لنفس أحد حول الحدث الموثق المبهر الذي يبدو من طرائق التعبير عنه أنه معجب به تماماً . حتى نصل إلى البيت السابع (رقم ٦٨ في القضية) الذي يحدد فيه سبب قناعته بحدوث الحدث حيث أن بعض الزوايات تشير إلى اسطوريته ولاحقيقته . ويصوغ الحقيقة في أسلوب شرط تقريرى . إن زوجوك بهن فهي عقيدة وهي عبارة تؤكد حقيقة ماذهبنا إليه إلى أن شوقى يميل إلى تحويل الحدث إلى حقيقة حتى وإن لم يكن كذلك في الحقيقة في بعض الروايات .. وربما كان هناك إضطرار أن يعلق بأنه "من العقائد مايلب ويحمق" أو أنه "ضلة" تشوب الإيمان والتي أظنها اعتذاراً لطيفة عن إعجابه الشديد بالحدث وبدليلنا على ذلك أن هذا المدخل كما سيأتى والذي كان أيضاً تعليقاً على مافات وهو فى الشطر الثانى من البيت الثامن والستين ثم البيت التاسع والستين كله (ومن العقائد مايلب ويحمق) . و(ماأجمل الإيمان لولا ضلة فى كل دين بالهداية تلصق) ثم يحول الشاعر عن الحدث . بل إستغله ليحرر نفسه من قيود محاولة تصنيف الحدث تصنيفاً إيمانياً وهو المعجب بصورته على النحو الذى تخيله .. بدليل أن هذا المقطع بالذات يعد من أجمل ماكتب فى الشعر الحديث على إطلاقه حول هذا الحدث إذا كانت هناك محاولات فى هذا المجال سابقة أو لاحقة ولا أظن ذلك حتى عندما انصرف على محمود طه إلى الجندول والنهر الخالد ونحوها لم يلفت نظره حدث "عروس النيل" كما شغل شوقى وملك عليه خياله .

والمجد عند الغائيات رغبة" . زفت إلى ملك الملوك
"مجلوة في الفلك" بالشاطئين مزغرد ومصفق" . " في مهرجان هزت الدنيا
به أعطاها" . ألفت إليك بنفسها ونفيسها "خلعت عليك حياها وحياتها" .

هذه عبارات تؤكد مذهبنا إليه أن شوقى كان يود طرح قضية الاعتراض
على الحدث جانباً ، حتى ينطلق في التعبير المثير عن الحدث المبهر الذى يشكل فى
تصورى أبهى نموذج تصويرى فى القصيد الحديث برمته .

ملحوظة تعترض السياق :

المنهج النقدى الذى أزعج تبنينه ومحاولة تطبيقه كإسهامة فى صنع نظرية نقد
عربية حديثة .. لا يؤمن "بنثر النص" أى أنه لا يلجأ فى محاولة الكشف عن جماليات
المعنى والشكل إلى الشرح الثرى للمضمون لأنه يؤمن أن الناقد لو نجح فى صنع
ذلك لقدم دليلاً على ضعف النص الشعرى المنقود . ذلك أن الشعر الرفيع يدخل
"المتلقى" فى صياغة جمالياته الشكلية والمضمونية على السواء . ولكى يستكشف
معانيه ودلالاته فعليه معاودة قراءته مرة أخرى كما هو . لأنه لا يتحول إلى غير الشكل
الذى ظهر عليه .. وهذا وجه آخر من أوجه حبكة الأداء التصويرى فى القصيدة .

والذى يفعله النقد يجب أن ينصرف إلى محاولة مساعدة المتلقى على اكتشاف
جماليات النص . بوضع يده على عناصر تكوينه ، محاولة اكتشاف أسباب الجمال
فى التعبير .. مستخدماً أحدث ما فى العصر من نظريات نقدية تتعلق "ببناء
النص" . أو "لغته" أو "أسلوبه" أو "علاقات السياق" فيه . أو "دلالة مفرداته" .. أو كما
تقول "البنوية" Structuralism علاقات النظام الفكرى الحادث من تداخل معارف
العصر فى صنع المضمون والشكل الفنى المستخدم بعد اكتشاف حقائق "وحدة
العلاقات" و"نسقتها" ومحاورها الرأسية المتعلقة "بالثابت" والأفقية المتعلقة "بالتغير"
أو العكس وفقاً لمنظورات رؤية : المبدع - النص - المتلقى .

والمحور السادس : يخلط من المحور السابق بمتعلق "الروح" و"الضحية" وهي فيه للخصب العميم خميرة" .. وهذا التفسير يحاول به أيضاً امتاع المتلقى بقيمة "الزفاف المونق" وظاهرة التضحية تبدو كعناصر عقيدية أخرى قاسماً مشتركاً. أعظم في كثير من العقائد السماوية أو الوصفية .. نجدها في ديانات الجزيرة قبل الإسلام على شكل (قربان) ورد ذكره في القرآن الكريم (فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر) ونجده في المانوية والكونفوشية والهنوسية وفي المسيحية واليهودية والإسلام .. وفي عقائد القبائل الإفريقية (الله في السواحيلية Mungo وقد تبدو وحداتها الصرفية مشتقة من المنجى) . وهدف "الروح" هدف يكاد يكون مرتبطاً بـ"الضحية" . بالخميرة في جميع العقائد الوضعية والسماوية . بمايكاد يجعلها ذات مصدر معرفي واحد .

وذاترة اللغة في المحور السادس :

طينة - الخصب - خميرة - الثرى - الزرع - سنبل - يفلق - النحل - النمل

- الحياة

مرتبطة بدائرة أخرى تستخدم المفردات : العالم السفلى - الحياة - نعود - نخلق - تشيد - تمد - تظل - كلمة الله - روحه - الكائنات - النجم - القمرين - كورت - صورت - الأولية - الهواء - يروح - سجدوا - مخلوق - خالقاً .

وهذه الدائرة المختصة بالخلق والحياة والخالق ترتبط بالدائرة الأولى في علاقات تجمعها دلالات مفردات مشتركة أو تمد علاقاتها بنظائر دلالية لها في الدائرة الأخرى .

وفي المحور السابع : يخص "العبادة" بالتصوير بعد تخلص في البيت الثالث والتسعين . ليستغرق الفترة من البيت الرابع والتسعين حتى السادس والتسعين

حتى السادس عشر بعد المائة . تمحوراً حول : عبادة أبيس - طقوس العبادة وهي وحدة أولى في المحور تقف عند البيت الرابع بعد المائة . ينتقل إلى وحدة ثانية حول "يوم القبور" يستغرق الأبيات من الخامس بعد المائة حتى السادس عشر بعد المائة (اثنا عشر بيتاً) .

دائرة اللغة :

الرعية - الأهله - جلاله - عبادة - الخلود - العهد - الدين - آلهة - الكهان - الغيوب .

وهذه دائرة تختص بالعبادة وما يدور في دائرتها من مفردات . في الوحدة الأولى . أما الوحدة الثانية (١٠٥ - ١١٦)

حجوا - القبور - وفد - العتيق - الهدى - هيكلها - النور - قربوا - اصدقوا - الحجيج - الحياة - القبور - الملوك - جثا - الأطباء - الموتى .
وهي دائرة مكمله للمحور القوي في الوحدة الثانية من المحور السابع .

وشعر "الحكمة" لازال ملحاً على الشاعر نجده في كثير من المقاطع قد يكون من المناسب عرض مارأيناه سابقاً منذ المحور الأول حتى لاتقلت هذه اللوحة من السياق:

لم لا يؤله من يقوت ويرزق . ١٣

إن العبادة خشية وتعلق . ١٥

والحظ إن بلغ النهاية موبق . ٦٣

والمجد عند الغايات رغبة . ٦٧

ومن العقائد ما ويحمق . ٦٨

وإذا تنهى الحب واتفق القدى .. فالروح في باب الضحية أليق ٨٠

والشعب ما يعتاد أو يتخلق ١٠٠

وفى المحور الثامن : (الحضارة) .

فى هذه المجموعة من الأبيات (١١٧ - ١٥٢) انتقال من مظاهر الحضارة :

حكمة . علم . دين . إلى تعاقب المفردات المتعلقة بالعقيدة .. ما قبل الأديان السماوية

ثم موسى ويوسف . وعيسى . وفتح عمرو لمصر . تنتشر أبيات الحكمة :

والحق ما يجى العقول ويفتق . ١٣٢

سيف الكريم من الجهالة يفرق ١٣٧

هذا بالإضافة إلى "المضمون" الحكيم الذى لا يتلخص فى (شطر) أو يتكثف

فى عبارة .

والأبيات المشكلة للمحاور الثمانية . تتلاقى نواتجها فى أكثر من خط بياني

يحتاج إلى محاولة يمكن أن تتعامل مع :

.. دلالة المفرد اللغوى على المعنى المراد ومدى دقة التعبير .

(نموذج الأبيات الأولى فى القصيدة .. وعلاقات المعانى فى المحاور الأخرى).

.. درجة تردد بعض المفردات وإشارات الإحصائيات المختلفة التى يمكن أن

تكشف عن درجات تردد كل مفرد على حدة .

.. نوعية الحروف الأكثر تردداً فى النص وعلاقة ذلك باختيارات الموسيقى

الناجمة عن غير الوزن العروضى .. وهو ما يعرف باسم "الموسيقى الداخلية" الناجمة

عن علاقات الحروف ومخارجها الصوتية ودرجات البعد والقرب من بعضها البعض .

.. نوعية الأفكار المطروحة ومدى توافقها مع النسق الأيديولوجى للبيئة من

ناحية . ومدى توافقها مع اختيارات المفردات والحروف من غاية ثانية . أو بمعنى

آخر جنود الأفكار .. عنصر (١) ثم طرائق التعبير .. عنصر (٢) .

خلاصة الرأي :

فى القصيدتين السابقتين اتفاق فى المنظور التعبيرى وعلاقته بالموروث من ناحية وإحداثى من ناحية أخرى . فى البدء نحت فى الصخر ثم انطلاق إلى مايتوافق مع الطبيعة الشاعرة . وجدها البارودى فى الحنين وشكوى الدهر ووجدها شوقى فى (الزفاف الموتق) .

تبدو قدرة شوقى التعبيرية والتصويرية أكثر رقة وتمكناً من قدرة البارودى .. ربما لأن شوقى كان من حيث الثقافة الموروثة والغربية واللغوية والتاريخية أكثر تمكناً ودراية وقدرة على التوافق مع المتغير الثقافى المحيط به .

* * *